إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة

الدكتور علي أسعد وطفة

مجلة المستقبل العربي : مجلة فكرية محكمة

تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية

العدد 282، آب / أغسطس، 2002، صص 96-113.

إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة

علي أسعد وطفة

استاذ علم الاجتماع التربوي،
كلية التربية، جامعة الكويت.

يعاني الإنسان العربي المعاصر ازمة هوية وانتماء تتصف بطابعي العمق والشمول. وتعود هذه الأزمة إلى وجود الإنسان العربي في ظل كيانات اجتماعية متعددة ومتعارضة، تبدأ بالقبيلة والطائفة حيناً، وتنتهي بالدين والقومية أحياناً. فالوطن العربي كما تعلن إحدى الدراسات العربية "كيان مركب معقد، تتداخل فيه عناصر الولاءات المحلية بالولاءات الوطنية، ولا تتطابق فيه حدود الجغرافيا مع حدود المشاعر، ولا حدود السياسة مع حدود الأمة"[1]. وبالتالي فإن تعددية الانتماء وتناقضاته تؤدي إلى حالة من الانشطار في الهوية الاجتماعية، وإلى حالة من التمزق الوجداني الداخلي عند الإنسان العربي الذي تتخاطفه، وفي الآن الواحد، مشاعر انتماء اجتماعية متعارضة ومتنافرة في مختلف المستويات والاتجاهات.

إن تنامي مشاعر الانتماء الطائفي والقبلي أدى إلى ولادة موجة عارمة من مشاعر الولاء والتعصب بمستوياته المختلفة، فأغلب المجتمعات العربية يعيش تحت تأثير موجة من القيم التعصبية، والتمييز الطائفي والإقليمي والعشائري والعرقي الذي ينخر عظام الوجود الثقافي في الحياة العربية المعاصرة. وفي غمرة هذا النمو الكبير لهذه الولاءات الضيقة بدأ الإنسان العربي المعاصر يتعرض لكل أشكال الاضطهاد والتمييز والتسلط، ويعاني مختلف ألوان التعصب والقهر، حيث بدأت قيم التسامح تسجل غياباً كاملاً وتترك مكانها لقيم التعصب الطائفي حيناً، والعشائري أحياناً.

فإشكالية الهوية والانتماء تُطرح بين القضايا الساخنة في المجتمع العربي المعاصر. وتتداخل حدود هذه المسألة مع منظومة القضايا الفكرية والاجتماعية الحيوية في

والانتماء: هل نحن عرب أم مسلمون؟ هل نحن أبناء الوطن أم أبناء ا
أبناء الطائفة أم أبناء الدين؟ وعلى الرغم من البساطة التي تأخذها ه
فإن الإجابة عنها بوضوح يمكن أن تؤسس لرؤية سوسيولوج
والخصوصية في المجتمع، كما يمكنها أن تقدم صورة موضوعية لـ
يحتكم إليها الوجود الاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية.
أيضاً أن الصورة الواضحة لمعالم الهوية الاجتماعية يمكنها أن تلقي
أخرى مهمة في مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع العرب

أولاً: في مفهوم الانتماء

يمتلك مفهوم الانتماء طاقة علمية كاشفة في مستوى الحياة ا
حيث تتعدى طاقته الكشفية هذه حدود السياسة والدين إلى مختلف
التي تحيط بالوجود الإنساني. يقول مجدي أبو زيد مؤكداً أهمية ه
والتحليلية لمفهوم الانتماء: «يعد الانتماء محوراً مفصلياً يكشف الكثير
التي تتحكم في علائقية المجتمع بأفراده، وما زال الكثيرون ينظرون
يخص الجانب السياسي وتجلياته في حين أنه يتجذر في كافة الـ
والثقافية والاجتماعية»[٣].

فالانتماء يؤكد حضور مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم
التي تتغلغل في أعماق الفرد فيحيا بها وتحيا به، حتى تتحول إلى و
كأنه الهواء يتنفسه وهو لا يراه[٣]. ويشكل الانتماء جذر الهوية
الكينونة الاجتماعية. فالانتماء هو إجابة عن سؤال الهوية في صيغة
أيضاً هو صورة الوضعية التي يأخذها الإنسان إزاء جماعة أو عة
مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو عقيدة أو فلسفة معين
شبكة من المشاعر ومنظومة من الأحاسيس التي تربط بين الفرد و
يؤسس أيضاً لمجموعة من العلاقات الموضوعية التي تتجاوز حدود
من الفعاليات والنشاطات التي يتبادلها الفرد مع موضوع انتماء
يشكل صورة مطابقة لصورتها، إذ يحمل روحها ويجسد معانيه
وتقاليدها، إنه صورة مصغرة لقبيلته بكل ما تنطوي عليه من
وعادات. وهذا يعني أنه يطابقها ويعبر عنها، وتلك هي صورة الهو
يعني المطابقة بين شيئين في نسق وحدة واحدة.

ومع أن مفهوم الانتماء الاجتماعي يعاني التعقيد والغموض
المفاهيم تداولاً في الأدبيات السوسيولوجية والتربوية المعاصرة.

متكاملين هما: العامل الثقافي الذاتي الذي يأخذ صورة الولاء لجماعة معينة أو عقيدة محددة، ثم العامل الموضوعي الذي يتمثل في معطيات الواقع الاجتماعي الذي يحيط بالفرد، أي الانتماء الفعلي للفرد أو الجماعة. فالولاء وهو الجانب الذاتي في مسألة الانتماء يعبر عن أقصى حدود المشاركة الوجدانية والشعورية بين الفرد وجماعة الانتماء، فالولاء حالة «دمج بين الذات الفردية في ذات أوسع منها، وأشمل، ليصبح الفرد بهذا الدمج جزءاً من أسرة أو من جماعة، أو من أمة، أو من الإنسانية جمعاء»[٤].

قد ينتمي الفرد بالضرورة إلى قبيلة ولكنه لا يشعر بالولاء لها، وعلى خلاف ذلك فقد لا ينتمي المرء إلى قبيلة محددة ولكنه قد يكون قبلياً بمفاهيمه وتصوراته. فالانتماء الفعلي يفرض نفسه ويتجاوز حدود وأبعاد العامل الذاتي، وذلك كله مع اعتبار إمكانية التطابق بين العنصرين. فقد يكون المرء عربياً ومؤمناً بعروبته، أو مسلماً مؤمناً بإسلامه في الآن الواحد، وهذه هي حالة التطابق بين الانتماء والولاء. وإذا كان الفصل بين هذين العاملين يعود إلى اعتبارات منهجية سوسيولوجية ضرورية، لتحليل ودراسة الانتماء الاجتماعي للأفراد، فإن الباحثين يدركون بعمق مدى التأثير المتبادل القائم بين العاملين في تحديد هوية الانتماء الاجتماعي للفرد. فالانتماء هو «شعور الفرد بالارتباط بالجماعة وميله إلى تمثل أهدافها والفخر بحقيقة أن الفرد جزء منها، والإشارة الدائمة إلى الانتماء ولا سيما في لحظات الخطر»[٥].

قد ينتمي الفرد بالضرورة إلى قبيلة ولكنه لا يشعر بالولاء لها، وعلى خلاف ذلك فقد لا ينتمي المرء إلى قبيلة محددة ولكنه قد يكون قبلياً بمفاهيمه وتصوراته. فالانتماء الفعلي يفرض نفسه ويتجاوز حدود وأبعاد العامل الذاتي... فقد يكون المرء عربياً ومؤمناً بعروبته أو مسلماً مؤمناً بإسلامه في الآن الواحد، وهذه هي حالة التطابق بين الانتماء والولاء.

وفي هذا السياق يمكن التمييز أيضاً بين الانتماء وشعور الانتماء، فالانتماء هو حالة موضوعية يفرضها واقع الحال، كأن ينتمي الإنسان إلى قومية معينة كالقومية العربية، فمن يتكلم العربية ويعيش على أرض العرب هو عربي بالضرورة ولا يمكنه الخروج من دائرة هذه الهوية. أما شعور الانتماء فقد يتطابق مع البعد الموضوعي للانتماء وقد يخالفه أو يتناقض معه. فالعربي الذي يتكلم العربية ويعيش على أرض العرب قد تأخذه مشاعر الانتماء إلى العروبة حباً وافتداء واقتداء. وعلى خلاف ذلك قد تغيب لديه هذه المشاعر وتضعف لديه روابط العروبة وأحاسيسها فتحدث المفارقة بين واقع الانتماء ومشاعره.

بأخذها الإنسان إزاء وضعيات انتماءات متعددة، والتي تأخذ سلماً ترتي
اتجاهات الانتماء المختلفة. فالإنسان محكوم بعدد من الانتماءات التي قد
وتتناسق أحياناً أخرى. فالإنسان العربي اليوم تتخاطفه مجموعة من
كالعروبة والإسلام والقبيلة والطائفة والوطن، وإزاء هذه التعددية قد
الهوية والانتماء، لأن بعض هذه الانتماءات يعارض بعضها الآخر كالتع
القبيلة وانتماء الوطن. ومن هذه الزاوية يتحدث زكي نجيب محمود عن
صورة متكاملة تبدأ بالوطن وتنتهي بالإسلام، حيث يعلن بأنه مصري،
لا يهمه بعد ذلك أن تضاف إلى هذه الأبعاد الثلاثة أبعاد أخرى كالا
وغيره[6]. وتأسيساً على مفهوم نسق الانتماء لدى زكي نجيب محم
والإسلام «فالمصري مصيب إذا قال إنه ينتمي إلى العروبة وإلى الإسلا
عربي بمعنى أنه يتجانس مع سائر العرب في نمط ثقافي واحد متعدد الا
أما المصري المسلم فهو ينتمي إلى الأمة الإسلامية بجانب واحد وهو
وليس بالضرورة أن تكون بقية جوانب الحياة الثقافية مشتر
والباكستاني والإندونيسي من المسلمين غير العرب»[7].

وانطلاقاً من هذه الإشكالية فإن درجة الشعور بالانتماء قد تأخذ
حيث تتباين درجات شدتها بين شخص وآخر. وهذا يعني أنه يمكن ت
كل فرد وفقاً لأولوية انتماءاته. فقد يشعر الإنسان بعروبته أولاً ودينه
وطائفته رابعاً ووطنه في الدرجة الخامسة. وهنا يمكن القول بأن سلم
ويتشكل في بوتقة من الظروف والفعاليات الإنسانية والاجتماعية الت
انتماءاته ونسق أولويات المشاعر الخاصة بهويته. ومن هنا يمكن التمي
الانتماء وصورته الذاتية التي تتعلق بمشاعر الانتماء الذاتية.

لقد شكلت قضية أولويات الانتماء واحدة من القضايا التي ع
محمود بعمق واهتمام كبير حيث يرى أن نسق الانتماء لا يتكامل
حيث يقول «فربما كانت العقيدة الإسلامية من حيث الأهمية أهم ج
انتمائي لأسرتي ولقريتي ولوطني وللعروبة وللإنسانية جمعاء
الدرجات على أساس آخر غير أساس الأهمية، وقد يكون هذا الأس
الوجدانية، فهذه المشاركة الوجدانية بيني وبين مسلم الصين أو رو
هذا الموقف الوجداني من حقيقة كون إسلامي أهم جانب من جوانب

ثانياً: بين الهوية والانتماء

... الانتماء في تقاطعات عدة تُطرح منذ ز

المعاصرة. وإذا كان كلٌ من هذين المفهومين يطرح إشكالية بمفرده، فإن الإشكالية التي يطرحها التداخل بينهما تتجلى بقوة. يعلن كثيرون من المفكرين عن صعوبة في تعريف الهوية، وليس غريباً أن يعلن غوتلوب فريغه (Gottlob Frege) بأن الهوية مفهوم لا يقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته. فالهوية مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الاخرى المجانسة والمقابلة له. ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الانا والآخر.

«لقد فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يدل على ما به يكون الشيء نفسه»، وهذا يفيد أن معنى الهوية في الاصطلاح الفلسفي العربي قد استقر ليدل على ما به الشيء هو هو بوصفه وجوداً منفرداً متميزاً من غيره[٩]. وتستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى (Identity-identité) التي تعبر عن خاصية مطابقة الشيء لنفسه أو الاشتراك مع شيء آخر بالصفات والخصائص عينها.

إن الهوية كيان يجمع بين انتماءات متكاملة، وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الأمن والاستقرار. وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعدداً بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية، يتوجب على السياسيين العمل على دمج هذه الانتماءات للوصول إلى هوية مشتركة...

يعرف المفكر الفرنسي اليكس ميكشيللي الهوية بأنها: منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها. فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي. وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز مما سواه ويشعر بوحدته الذاتية[١٠]. ومن أجل تحديد ظلال التمايز بين مفهومي الانتماء والهوية يمكن أن نسجل ثلاثة عناصر من عناصر التباين بينهما:

- يتميز مفهوم الهوية بطابع الشمولية، ويشكل الانتماء عنصراً من عناصر الهوية. فالهوية تتكون من شبكة من الانتماءات والمعايير كما وضّحنا في تعريف المفهوم.

بشكل واسع في مجال الفلسفة، ويشكل مبدأ الهوية واحداً من أقدم وقوامه أ = أ، أي أن الشيء هو نفسه. وعلى خلاف ذلك يأخذ مفه سوسيولوجياً، ويوظف غالباً في مجال الأدب والسياسة وعلم الاجتماع.

- مفهوم الهوية مفهوم شامل يوظف للدلالة على ظواهر مادية ؛ ينفرد مفهوم الانتماء بالدلالة على الظاهرة الإنسانية دون غيرها من الظ

إن الهوية كيان يجمع بين انتماءات متكاملة وهوية المجتمع تم الأمن والاستقرار والطمانينة. فالهوية القومية تمنح أبناء الأمة الشع والاستقرار. وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعدداً بانتماءات وفئا أو دينية أو سياسية أو اجتماعية، يتوجب على السياسيين العمل على د المتنوعة من أجل الوصول إلى هوية مشتركة تمثل مصالح الجماعة ب المختلفة. «فالهوية المشتركة أو محاولة تحقيق الاندماج الاجتماعي لم الانتماءات الفرعية بقدر ما تعني ضمان عدم تضارب بين الهوية الفردية، بناء على هذه المعادلة تصبح السلطة هي القادرة على منح الهو من خلال مؤسساتها المختلفة، وتصبح بذلك الهوية الفردية المشتركة»[11]. وهذا يعني أن «التباين ضروري حتى يمكن للهوية معنى للوجود، والتباين ضروري ومساهم في انفتاح الآخرين وتكامل التباين يحتاج إلى الروح الديمقراطية التي يمكنها أن تحقق التلاحم الو التكوينات الاجتماعية الصغرى في ظل البناء القومي أو الوطني الكبير.

ثالثاً: في مفهومي القبيلة والطائفة

القبيلة تكوين اجتماعي يقوم على روابط الدم والقرابة ورواب المتوارثة، ويعد الانتماء القبلي وحدة التنظيم الأساسية في المجتمعا وهي بالتعريف «جماعة تربط أعضاءها صلات الدم والقرابة ونمط والاستهلاك، وأسلوب المعيشة، والقيم، ومعايير السلوك المشتر الداخلية»[12].

أما الطائفة فهي تكوين اجتماعي ديني يقوم على نمط محدد لل وجود اجتماعي يقوم على أساس الانتماء لدين أو مذهب أو ملّة معي نصار بأنها «جماعة من الناس يمارسون معتقداً دينياً بوسائل و

(١١) انظر تعقيب علي الطرّاح على بحث: سعد الدين ابراهيم، «التعصب والتحدي

إنها تجمع ديني، ولكنها تكتسب مع الوقت طابعاً اجتماعياً وسياسياً[١٤]. والدين حالة عقائدية تتميز بطابع الشمول. فالدين يشمل عدداً كبيراً من الطوائف الدينية. فالدين الإسلامي يشمل طوائف عديدة وهذا هو حال الدين المسيحي والأديان الأخرى.

وهنا يتوجب علينا أن نميز بدقة بين مفهوم الطائفة والطائفية كما بين القبيلة والقبلية. فالطائفة والقبيلة مفهومان يطابقان كينونة اجتماعية تتميز بحضورها الاجتماعي وتؤدي أدواراً ووظائف اجتماعية سابقة لتكوينات الدولة الحديثة. أما الطائفية فهي نزعة تعصبية تجعل الفرد يقدم ولاءه الكلي او الجزئي للقيم والتصورات الطائفية، وكذلك هو الحال في ما يتعلق بمفهوم القبلية، فالقبلية هي نزعة تعصبية أيضاً تتمثل في منظومة من القيم والمعايير التي تعبر عن ولاء الفرد لقبيلته في عصر الدولة الحديثة.

إن الولاء للقبيلة والعشيرة والطائفة في ظل المجتمع المدني يشكل حالة سافرة من التعصب الخالص الذي يفقد مبررات وجوده التاريخي، وتلك هي الحالة التي يُجمع المفكرون على أنها حالة مدمرة للمجتمع ووحدته.

إذا «علينا أن نفرق بين القبيلة والقبلية. في البداية إن أغلبنا قبليون في تفكيرنا ولكن ليس بالضرورة أن يكون أغلبنا من القبائل. القبلية عقلية وسلوك طبعت مجتمعنا عبر آلاف السنين ولا تزال، وهي في الأساس مبدأ تنظيمي يحدد الأطر العامة للعضوية في الجماعة، وهي رابطة موحدة الغرض مبنية على التحالف بقدر ما هي مبنية على النسب والقرابة وتمثل عقلية عامة مستمدة من الانتماءات والولاءات المنغرسة في وجدان الجماعة، وإن نزعتها نحو إثارة قبليتها هو تعبير عن هويتها»[١٥].

وهنا يجب أن نميز بين مشروعية هذه الولاءات في سياقها الزمني. ففي الوقت الذي يكون فيه الولاء للقبيلة والطائفة مشروعاً في غياب الدولة الحديثة، ولا سيما في مراحل تاريخية سابقة لنشوء الدولة والمدينة، فإن هذا الولاء يفقد هذه المشروعية مع التكوينات المدنية الاجتماعية الحديثة، حيث تفقد التنظيمات الاجتماعية التقليدية دورها ووظيفتها وتتخلى عنها للدولة أو للمجتمع المدني. وهذا يعني أن الولاء للقبيلة والعشيرة والطائفة في ظل المجتمع المدني يشكل حالة سافرة من التعصب الخالص الذي يفقد مبررات وجوده التاريخي. وتلك هي الحالة التي يجمع المفكرون على أنها حالة مدمرة للمجتمع ووحدته. والمهم في هذا السياق، كما يقول سعد الدين ابراهيم «المهم ألا يتحول الاعتزاز بالقبيلة إلى قبلية، والاعتزاز بالطائفة إلى طائفية»[١٦].

رابعاً: واقع الكيانات الاجتماعية الصغرى ومش

تتعايش في مجتمعاتنا العربية بنى اجتماعية متنوعة تمثل كل مد من مراحل تطور المجتمعات الإنسانية. فهناك البنى الاجتماعية ال والطائفية والدينية التي تعيش جنباً إلى جنب في قلب الدولة القطر وتستقطب كل بنية من هذه مشاعر الولاء الاجتماعي، وفقاً لدرجة أهم دائرة الحياة الاجتماعية. وتجد هذه الرؤية مشروعيتها عند هشام شر يؤكد في كل مناسبة الخصائص الابوية البطريركية للمجتمع العربي داخلية لا تزال تقوم على علاقات القرابة والعشيرة والفئة الدينية و بعض الكتاب العرب حضور هذه الصيغ الاجتماعية الضيقة في المجتمع ظاهرة الحضور الكبير للقبيلة في الحياة الاجتماعية العربية، بأن المنطق غيرها من مناطق العالم بكونها أعظم امتداد صحراوي على وجه الـ معناه لنها أكبر منبع للبداوة في العالم[١٨]. ومع تحفظنا الشديد حو لا يمكن لنا أن ننكر دور البيئة في تشكل وتحديد صيغ الوجود استمرار القبيلة ووجودها قائمان في كثير من المناطق التي لا تحمل العالم.

إن المجتمع العربي يتكون حقيقة من عدد من الجماعات المتمايز ولا سيما جماعات القبيلة أو الطائفة. ولقد استطاعت هذه الجماعات بآخر أن تحافظ على هوياتها الخاصة، متحاشية الانصهار في المجتمع[١٩]. وهذا يعني أن هذه البنى ما زالت تعاني التصلب و إمكانات تشكل المجتمع في صورة عصرية وحضارية.

وهذا التصلب والجمود في التكوينات الاجتماعية القائمة في المد يشل حركتها ويستلب قدرتها على التطور في نسق حضاري يخضـ في مقالته «جيوبولتيكا الأقليات في المشرق العربي»، حيث يصل إ التنوع الاجتماعي في المجتمعات العربية، وهو بالتالي يرى «أن المج من شرائح وفئات مختلفة ترتبط في منظومة حضرية معقدة والأهداف والالتزامات والمسؤوليات التي تتباين درجات انسجامها تحقيق الانسجام والتكامل بين هذه الأنساق الاجتماعية المختلفة بمدى النقلة الحضارية للمجتمعات المعنية. وهذا يعني أن التعدد في

(١٧) هشام شرابي، البنية البطركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر،

غير الديمقراطية يتبلور في صيغة تراجيدية (مأساوية) تتمثل في التعصب والصراع. أما التعددية في المجتمعات الديمقراطية فهي معادلة مهمة في تحضر هذه المجتمعات وفي تحقيق نهضتها الحضارية، وهذا يعني أن الديمقراطية هي «إسمنت» الوحدة الوطنية وحصنها الحصين.

وفي هذا السياق يبين أحمد شكر الصبيحي في دراسة مهمة أجراها حديثاً حول مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي أن البنية الاجتماعية العربية تقوم على أساس علاقات القرابة والدم حيث يقول «إن العلاقات المسيطرة هي علاقات القرابة والأهل والمحلة والمذهب والطائفة والعشيرة (...). إنها علاقات طبيعية، عضوية جمعية، قسرية، علاقات مرتكزة على روابط الدم»[٢١].

الديمقراطية تشكل ملح الوحدة الوطنية، ومنطلق العيش الحضاري المتكامل بين مختلف الكيانات الاجتماعية...

إن حضور الولاءات الاجتماعية الضيقة (طائفية وعشائرية وقبلية) لا يأتي اعتباطاً بل يعبر عن وضعية تاريخية مشروعة، حيث تلبي هذه البنى وظائف اجتماعية وسياسية مهمة تتمثل في تأمين الحماية والأمن والهوية لأفرادها، في ظل مجتمعات لم تتبلور فيها البنى السياسية الاجتماعية المعاصرة على نحو متكامل، ولا سيما بنية الدولة العصرية أو الأمة.

وتأسيساً على ذلك فإن الناس في المجتمعات الديمقراطية يتجاوزون حدود انتماءاتهم وعشائرهم إلى بناء مجتمع الدولة الذي ينتمون إليه ويرفعون له مشاعر الولاء. وهذا يعني أن الديمقراطية تشكل ملح الوحدة الوطنية ومنطلق العيش الحضاري المتكامل بين مختلف الكيانات الاجتماعية. وتجد هذه الرؤية صورتها الواضحة في تحليل قيس النوري الذي يؤكد دور الديمقراطية في مجتمع التعددية وقدرتها الكبيرة في تحقيق التواصل والتكامل بنيوياً ووظيفياً. فالمجتمعات التي تتنوع تكويناتها الاجتماعية تقتضي ديمقراطية ناضجة يمكنها أن تعنى بالتعدد الثقافي وما يقترن به من تنوعات اجتماعية وفكرية. «وعلى هذا تصبح التعددية عامل تحفيز حضاري يدفع المجتمع إلى أمام ويسهم في رفد تقدمه ونمائه. لكن انتشار هذه الرؤية الحضارية والإنسانية المنفتحة للتعددية الثقافية والاجتماعية بين الناس يعتمد على صيرورتهم الثقافية والنفسية المطلوبة لتحريرهم من الأطر العشائرية المتعارضة مع التوجه الوطني غير المجزأ: فالتحدي الحقيقي الرئيس أمام الديمقراطية هو أن يصبح اختلاف (الآخر) مألوفاً ومقبولاً بعد أن ظل غريباً ومريباً»[٢٢].

وما يؤسف أن الدولة الحديثة في الوطن ...

في كثير من بقاع الوطن العربي دولة عشائرية أو طائفية تستمد
التكوينات الصغرى القائمة في المجتمع، وتعتمدها في الهيمنة على السا
هذا الأساس يمكن القول بأن وجود البنى الطائفية والعشائرية
الديمقراطية بمختلف تجلياتها في المجتمعات العربية، فالديمقراطية
لدولة عصرية تضمن لجميع افرادها الحق في الوطن والمواطنة عل
بدوره يشكل المنطلق المنهجي لتغييب مختلف أشكال الولاءات الط
الضيقة في المجتمع.

وتاسيساً على ذلك يؤكد الباحثون غالباً اهمية الدور الاجتماعي
تقوم به الوحدات الاجتماعية الطائفية والقبلية في المجتمع العربي،
الديمقراطية الحقيقية للانظمة السياسية القائمة. ويلاحظ الباحثو
للطائفة والقبيلة يكون على أشده في بعض البلدان العربية التي تسوده
ويلاحظ بعضهم أن ولاء الأفراد للقبيلة قد يكون أشد من ولائهم
عندما تكون الدولة غير قادرة على ضمان حقوق الأفراد وتامين حماية

يقول أحمد شكر الصبيحي: «لقد شكلت العشائرية والقبلية و
الاقطار العربية، الوحدات الاجتماعية الجوهرية في الوطن العربي.
السياسي لقرون ورائياً في القبيلة والقرية بتركيز السلطة في شيخ
القبيلة»[٢٣]. «إن الولاءات القبلية ـ العشائرية العائلية هي من أكثر
رسوخاً وتأثيراً في مجمل الحياة العربية المعاصرة. ففي اليمن أصبـ
متكاملاً له قوانينه وتقاليده وله نظام انتخابي ونظام توزيع للأعمال
له نظاماً تعاونياً وتحديداً دقيقاً للحقوق والواجبات»[٢٤].

إن ظهور الولاءات الطائفية والانتماءات الضيقة ليس بالقدر ا
تشكل هذه الولاءات والنزعات يأتي انعكاساً وتجسيداً لشروط
واجتماعية واقتصادية. وبالتالي فإن إمكانية تغيير هذه الشروط تبقى
عربية أصيلة وشاملة[٢٥]. إن غالبية سكان الوطن العربي عرب مـ
الاجتماعي الراهن أحالهم إلى طوائف فتوزعوا إلى ملل ونحل وطوائف
الولاء لها مع الولاء الديني والوطني ومع الولاء القومي[٢٦].

خامساً: تراجع مشاعر الانتماء القومي والولا

يراهن عدد كبير من المثقفين العرب على تصدع المشاعر القو
الجماهير العربية المعهودة للقيم والطموحات القومية، وتبنى هذه ا

الإخفاق الكبير الذي منيت به القوى السياسية القومية في الوطن العربي، وذلك بعد وصولها إلى السلطة منذ بداية النصف الثاني للقرن العشرين. فالأنظمة العربية القائمة التي رفعت الشعارات القومية، ووصلت إلى السلطة على عجلات الدفع القومي، وعلى خلاف ما هو مطلوب منها، عززت واقع التجزئة والقطرية بين البلدان العربية، وأخفقت في مختلف مجالات النشاط السياسي القومي والاجتماعي والإنساني[٢٧]. وكان لذلك وقع مأساوي في نفوس الجماهير العربية التي بدأت تبحث عن قوى سياسية جديدة يمكنها أن تكون أكثر صدقية في النضال من أجل تحقيق الطموحات الاجتماعية والقومية، وبدأت تتوجس خيفة من دعاة الفكر القومي العربي ومن قواه السياسية القائمة على سدة الحكم، أو هذه التي تناضل من أجل الحقيقة القومية.

> إن بناء مجتمع عربي معاصر يمتلك القدرة والاقتدار مهمة مستحيلة إلا إذا استطاع الفكر العربي المعاصر أن يبلور صيغة عصرية جديدة قومية أو إقليمية قادرة على استيعاب كل الفئات الاجتماعية والطائفية والقبلية على امتداد وطننا الكبير.

ويضاف إلى هذا القهر القومي ثقل الأحداث الدامية التي تمثلت في الهزيمة العربية الشاملة بدءاً من الانفصال المأساة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ وفي الحرب العراقية - الإيرانية، وفي مأساة الغزو العراقي للكويت، وفي تخاذل الأنظمة العربية إزاء القضايا القومية والوطنية على مختلف الصعد والأزمنة. وإزاء هذه الحقائق بدأ كثيرون من المفكرين والكتاب يؤكدون تراجع المشاعر القومية الكبير عند الناشئة العربية التي عاشت في أجواء النزعات الإقليمية الضيقة ورضعت حليب الإحساس القطري والمشاعر والولاءات الضيقة المحدودة[٢٨]. لقد أدت هذه التحولات والانتكاسات إلى اهتزاز مشاعر الانتماء القومية والوطنية، وجاءت لتبدد كثيراً من أحلام الانتماء العربي في ظل تنامي النزعات الكيانية القطرية الصغرى، ولا سيما في جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية.

لقد شكلت التحولات السياسية والاجتماعية منطلق التحولات القيمية والاجتماعية الحادثة، فالتغير الاجتماعي، وفقاً لأبسط القانونيات الاجتماعية، ينعكس في صورة تغيرات قيمية تتناسب مع طبيعة ومستوى ومنطق التغيرات الحاصلة. وإذا كانت المنطقة العربية شهدت وتشهد تحولات سياسية واجتماعية عميقة، كما بينا سابقاً، فإن السؤال السوسيولوجي الذي يُطرح هو كيف تنعكس هذه التغيرات في منظومة القيم السياسية [illegible] المشاعر القومية تتلاشى وتتبدد

يصف خلدون النقيب هذه التحولات ويحلل مضامينها السوسي له حول الثورة الصامتة حيث يقول: «إن الجيل الذي يعيش في ظل هذ (التغيرات القيمية في المجتمع) يخضع إلى تأثيرات متناقضة، فهذا ال افضل للتعامل مع السياسة والقضايا العامة، ولكنه جيل تشكل وع الإعلام أو الميديا[29]. هذا الجيل هو جيل الأبطال الإلكترونيين و ومدرسة المشاغبين، وهذا الجيل أحسن تعليماً وأوسع أفقاً، ولكنه ف القومية المبنية على فكرة الأمة ذات الخصائص المشتركة، ولذلك فهو إذكاء النعرات القبلية والطائفية - تلك هي الجماعات التي يحس بعلاقاتها الوشائجية (من حيث إن الوشيجة هي صلة الرحم العميقة الجمعي)[30]. ومن المظاهر المتناقضة اللافتة للنظر هذه الاستكانة إلى ا والتبعية لشيخ القبيلة (...) في الوقت الذي تتملك هذا الجيل نزعة الت والحاكمة، والتمرد يأخذ شكل التطرف الديني أو الرقص في الدي اختلاس المال العام مع معرفة أن الاختلاس هو الطريقة الوحيدة لل جهد أو تعب»[31].

وفي المستوى الاجتماعي بدأت الشعوب العربية تعاني، إضافة اندفاعات تحديات اجتماعية تتعلق بالفقر والبطالة والجريمة والإره وقهر المرأة وغياب الديمقراطية وانخفاض مستوى الحياة الاجت الشعوب انحساراً كبيراً في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية.

لقد بدا واضحاً جداً، وذلك في العقد الأخير من الزمن، وعبر الاشتراكية أن القيم السياسية ذات الطابع الرسمي والايديولوجي، وضحاها، وتبين أن بعض القيم المضمرة استطاعت أن تنفلت من ع لتشكل منطلق السلوك والفعل السياسي والاجتماعي، في كا الاشتراكية سابقاً. ففي الاتحاد السوفياتي، وعلى حين غرة، هز والاجتماعية التي كانت تحتل مكان الصدارة في سلم القيم: الاشتر العمالية وسقطت. وتبين لاحقاً نهوض القيم القومية المناهضة للأم للبعد الإنساني، والليبرالية والاقتصاد الحر بديلاً من مفهوم الا كانت كامنة في عمق اللاشعور الاجتماعي، فبدأت الحروب ذات الط والقومي لتتبدد أسطورة الوجود الاشتراكي في العالم. فالقيم تض الثقافة وليس من السهل دائماً تبديد القيم والقناعات القديمة فالعقل ينطوي على قناعات وقيم، وإن بناء القناعات القيمية عملية

إلى مواقع السلبية والجمود والقصور. وليس للقيم السلبية أن تكون
ا قد تنتهز فرصة الخلل الاجتماعي لتطرح نفسها بقوة، وعندها تبدا
؛ ويحيق الخطر بالحياة الاجتماعية في أجمل جوانبها وأرقى تجلياتها.
وركهايم إبان التغيرات الكبرى، ولا سيما انتقال المجتمعات الاوروبية
ع الزراعي إلى مرحلة التصنيع وجود مجتمعات أطلق عليها اصطلاح
تمعات من غير قيم. وقد لاحظ أيضاً أن أحد أنواع الانتحار ينتشر في
تمر بمرحلة تتغير فيها القيم فيصبح الأفراد موزعين بين نوعين
نيم، مما يؤدّي ببعضهم إلى حالة لا يتمسكون فيها بأي نوع من

سدد تجدر الإشارة إلى ما يطرحه صادق جلال العظم حول الأهمية
الأولويات وذلك حين يقارن بين هزيمة العرب عام ١٩٦٧ وهزيمة
يابانيين عام ١٩٠٥، حيث يصل إلى نتيجة مفادها أن الهزيمة بالنسبة
ناجاً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتراثية الفردية في المجتمعات
هذا الصدد يبرز السلم القيمي وسلم التفضيلات القيمية السياسية.
د لسلم القيم الضيق الذي يُعلي من شأن الولاءات الصغرى على حساب
(٣٣)

هذه الحقيقة أيضاً، حقيقة تنامي الولاءات الصغرى (قبلية، طائفية،
د من الدراسات العربية، حيث تجدر الإشارة إلى دراسة أحمد جمال
اهات التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع الأردني». وهي دراسة
على عينة واسعة من طلبة مدارس منطقة شمال الأردن، وهدفت إلى
لقيم الاجتماعية والسياسية التي تكرسها اتجاهات التنشئة الاجتماعية.
ة أن القيم السائدة هي: الولاء للعائلة أولاً، ثم للدين ثانياً، فالقومية في
تاتي الدولة في المرتبة الرابعة. وقد أجمع أفراد العينة على أن الأمة
ة واحدة بسبب اللغة العربية، وقد أجمع أفراد العينة تقريباً على تفضيل
ض، وان فقدان الأرض خير من فقدان أحد أعضاء الجسد، ولكنهم
لوالدين على فقدان الأرض»(٣٤).

الموقف العلمي في هذا السياق أن يشار إلى الدراسة المهمة لنزار ابراهيم
لاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة» حيث تناول الباحث عينة
ب العربي. هدفت دراسته إلى تقصي مضامين واتجاهات العقلية السائدة
د بينت الدراسة أولوية الانتماء الضيق عند الشباب العربي، حيث أخذت

ي عمر النير، «المشكلات الاجتماعية: تحديد إطار عام» الفكر العربي، السنة ٣، العدد ١٩
ـ شباط/فبراير ١٩٨١)، ص ٢١.
جلال العظم، النقد الذاتي بعد الهزيمة (بيروت: دار الطليعة، [١٩٦٨]).
مال ظاهر، «اتجاهات التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع الأردني: دراسة ميدانية لمنطقة
، العلوم الاجتماعية، مج ١٤، العدد ٣ (خريف ١٩٨٦)، ص ٤٣ ـ ٧٢.

في دراسة مهمة حول: «الاغتراب بين الطلبة الجامعيين القطريين والبحرينيين واليمنيين» عام ١٩٨٦ على خمس عينات واسعة من الطلبة المسجلين بجامعة قطر من مختلف الجنسيات العربية، تبين الباحثة جهينة العيسى أن ٥٦ بالمئة من الطلبة الذكور يشعرون بأزمة الانتماء القيمي، وانهم غير قادرين على التكيف مع القيم الاجتماعية السائدة، وان ٥٧ بالمئة يشعرون بأنهم لا يملكون طاقة توجيه الذات، وان قوى خارجية تسيطر على وجودهم وقواهم[٣٦].

ومن الدراسات المهمة في تونس أيضاً تبرز دراسة عبد اللطيف الحناشي[٣٧] التي أجريت على عينة بلغت ٨٠ عاملاً من أصل مجتمع من ٩٠٠ عامل. واعتمدت الدراسة على المقابلة الشخصية، وأجريت في الفترة الزمنية التي تمتد من شهر تشرين الاول/ اكتوبر من عام ١٩٨٨ حتى أيار/مايو ١٩٨٩ في تونس، وهدفت إلى استطلاع مواقف العمال من الوحدة العربية.

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن العمال ينظرون إلى الوحدة بوصفها ضرورية، ولكنهم يختلفون حول مبرراتها، حيث يرى ٣٤,١٢ بالمئة أن التحديات الخارجية المتمثلة في الكيان الصهيوني والإمبريالية هي العامل الاساسي للمطلب الوحدوي، ضرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١، واحتلال الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨، واحتلال العاصمة بيروت عام ١٩٨٢، وضرب مقر قيادة التحرير الفلسطينية بتونس عام ١٩٨٥. وهذه العمليات كانت نتاجاً للتحالف مع القوى الإمبريالية العالمية. ويعتقد ٢٥,٥٩ بالمئة من أفراد العينة أن مبررات الوحدة تعود لأسباب تتعلق بالتحديات الداخلية، مثل التخلف الاقتصادي والتبعية والمديونية والبطالة، بالإضافة إلى بروز المشاكل الطائفية والاقليات في بعض الاقطار العربية. ويرى ٢٠,٣ بالمئة أن دواعي الوحدة تكون لاسباب تاريخية. هذا وقد أعلنت اكثرية أفراد العينة أن الوحدة تعمل على حماية الامن القومي ومجابهة الصهيونية والإمبريالية وتامين القوة الاقتصادية. ومن أهم القضايا التي درست هي حول ماهية الوحدة، حيث أعطى ٥٨,٧٥ بالمئة للوحدة طابعاً إسلامياً عربياً، بينما يرى ٢١,٢٥ بالمئة أن الوحدة يجب أن تكون على أساس علماني، في حين إعتبر ١٥ بالمئة أن لا هوية للوحدة غير الإسلام، وقد أعلن ٥ بالمئة أن هوية الوحدة تقتصر على فكرة العروبة بشكلها التقليدي.

وفي دراسة أجراها علي وطفة على عينة سورية يتبين أن التضامن العربي هو

---

(٣٥) نزار ابراهيم، «البنى الاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة» الوحدة، السنة ٤، العدد ٣٩ (كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٧)، ص ٨٨ ـ ١٠٢.

(٣٦) جهينة العيسى، «الاغتراب بين الطلبة الجامعيين القطريين والبحرينيين واليمنيين» حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر) (١٩٨٨)، ص ٧٧ ـ ١٠٤.

(٣٧) عبد اللطيف الحناشي، «موقف الاوساط العمالية في تونس من الوحدة مثال: عمال الصناعات الكيميائية المغربية بقابس (ICM)»، المستقبل العربي، السنة ١٥، العدد ١٦٠ (حزيران/يونيو ١٩٩٢)، ص ٤٣ ـ ٦٦.

درت منظومة القيم السياسية والاجتماعية عند الطلاب. وبالمقارنة مع
ربية نجد أن الاخيرة قد احتلت المرتبة الرابعة، وهذا يعني ان القيمة
التضامن العربي تجد مكاناً لها اكثر اهمية من مفهوم الوحدة العربية،
الضغط الايديولوجي الذي تمحور حول مفهوم التضامن استطاع ان
حدة العربية عن اولويته واهميته، وان يستبدله بمفهوم التضامن العربي
والاولوية. وقد تبين ايضاً ان المضمون الاجتماعي للطموحات السياسية
ا ياخذ اهمية خاصة تخالف منطق الايديولوجيا الرسمية، التي تؤكد
قومي. ويبدو بوضوح أن العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والمضمون
موحات الشبابية بدأت تحتل مكاناً كبيراً واهمية خاصة منافية لمنطق
سي، وهذا يعني أن المضمون الاجتماعي للحقيقة السياسية أصبح
المضمون القومي[٣٨].

سادساً: الأنظمة السياسية العربية
إزاء الانتماءات القبلية والطائفية

ولة القطرية في الوطن العربي، وبصورة مستمرة، في الخفاء حيناً وفي
رى، على إحياء مختلف الولاءات الطائفية والعشائرية في المجتمع، بدلاً من
بها واجتثاث أسباب وجودها. لقد عاشت أجيال متتالية من الناس مراحل
سي والعقلي في ظل هذه الممارسات السياسية الخطرة التي جعلت من
يقة (الطائفية والعشائرية) منطلقات مشروعة للعمل السياسي والحركة
ن هذا المنطلق أصبحت «الحياة الاجتماعية العربية متشبعة بقضايا التمييز
متبداد الاقوياء، واضطهاد الأقليات العرقية، وخرق المبادئ الإنسانية

ط الطائفي غالباً ما يشكل إكراهاً عاصفاً يجتث مختلف محاولات التنمية
عاصفة من نار تدمر المحاولات الإنسانية كلها وتحرق أحلام الناس في
حرّ أصيل.

احد المفكرين العرب هذه الوضعية بقوله: «تعاني المجتمعات العربية
هيمنة قوى سياسية واجتماعية وثقافية محددة تمارس دورها، وتحطم
ماعية بين الناس، وتعمل على إحياء كل ولاءات الماضي ماقبل المجتمعية
طائفية والقبلية والعشائرية والإثنية... وغيرها بحيث يصبح الكل في حرب
وتمعن في إفقار معظم أفراد الشعب، وتنقل ثرواتها إلى خارج الحدود
وظيفها واستثمارها في مشاريع إنتاج عربية، الأمر الذي يؤدي في نهاية

سعد وطفة، «الطموحات السياسية وابعادها القومية والاجتماعية»، عالم الفكر، مج ٢٩، العدد ٢
وبر - كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠)، ص ٢٠٦ - ٢٤٦.

الحطاب، الصفات التي يجب ان تتسم بها التربية للاستجابة لمتطلبات المجتمع خلال القرن
، (بيروت): مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في البلاد العربية، ١٩٨٩)، ص ١٤ - ١٥ و٢٨.

الأمر إلى تأجيج الأحقاد بين العربي والعربي داخل القطر العربي الواحد او بين الاقطار العربية، وبالتالي تهميش العامل المنتج للمشاعر القومية بين الناس»[٤٠].

وتجد هذه الرؤية صداها عند أحد المفكرين العرب إذ يقول: «فالسلطة، في مجتمعاتنا العربية، لم توفق في خلق الاندماج الاجتماعي بين فئات المجتمع، بل كانت تساعد احياناً في خلق العزلة والتعصب والتباعد بين الجماعات. والمأزق يتجسد في عدم قدرة السلطة على خلق نموذج وطني، يوحد بين الجماعات الفرعية، التي أصبحت تحقق أمناً للفرد الذي ينتمي إليها في ظل غياب أمن المجتمع والدولة، فأعضاء الجماعة الفرعية تمتاز بقوة روابطها وبدرجة عالية من الانغلاق، بحيث تقود إلى درجة عالية من النرجسية»[٤١].

لقد أدرك الكتاب العرب بصورة دائمة النتائج التاريخية والإجتماعية لغياب الحياة الديمقراطية في الوطن العربي. وقد أعلنوا في غير مناسبة أن الانتماءات الضيقة العشائرية منها والطائفية هي نتاج لغياب الديمقراطية السياسية والاجتماعية، وأدركوا أيضاً أن التعصب بكل صيغه وتجلياته نتاج واضح لوضعية شمولية ترهب الحياة الديمقراطية وتعلن الحرب الشاملة على مختلف الاتجاهات الديمقراطية القائمة والمحتملة في المجتمع. ويبدو هذا الموقف الفكري صريحاً في رأي الباحثة العربية منى مكرم عبيد التي تعلن بأن التعصب نتاج لفعل استبداد سياسي يتم في غياب الديمقراطية حيث تقول: «إن اهم المشاكل التي تتجسم فيها إشكاليات الفكر العربي المعاصر مشاكل بنيوية فكرية واجتماعية في مقدمتها:

١ ـ ظاهرة التطرف الديني والتعصب المذهبي الطائفي إلى درجة القتل والقتال.

٢ ـ مشكلة الأقليات في البلدان العربية التي فيها أقليات.

ومن اهم العوامل التي فعلت فعلها في انبعاث هاتين الظاهرتين هو غياب الديمقراطية، وأقول لأنه من دون الديمقراطية، ومن دون التعبير الديمقراطي الحر لا يمكن احتواء مشكلة التعصب الديني، ولا مشكلة الأقليات احتواءً سليماً وصحيحاً»[٤٢].

إننا نجد هذه الصورة الواقعية في وثيقة أصدرها المعهد العربي للتخطيط يصف فيها الواقع التراجيدي للوطن العربي بأنه «وطن تتحرق شعوبه إلى الوحدة، بينما تكرس أنظمته التربوية والتعليمية الانفصال، وطن تتشوق فيه شعوبه إلى الديمقراطية، ولكن أنظمته تكرس كل قيم القهر والاستبداد. وهذه هي ملامح الصورة الثقافية للثقافة العربية التي تفيض بالتناقض وتمور بالقيم المتنافرة المتضاربة. فالثقافة العربية تشكل مسرحاً للفوضى القيمية وساحة للمتناقضات بين القيم والمبادئ، بين الشعارات

(٤٠) خليل، «مستقبل العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية ـ العربية» ص ٦٦.

(٤١) انظر تعقيب علي الطراح على بحث: ابراهيم، «التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي» ص ٥٤.

(٤٢) انظر مداخلة منى مكرم عبيد حول بحث: علي الدين هلال، «ازمة الفكر الليبرالي في الوطن العربي» (ندوة)، عالم الفكر، مج ٢٦، العددان ٣ ـ ٤ (كانون الثاني/يناير ـ حزيران/يونيو ١٩٩٨)، ص ١٣٧.

ن التصرفات والممارسات»[٤٣].

ة الدور التاريخي للتكوينات الاجتماعية الصغرى الطائفية والعشائرية
ومع أهمية الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها في المجتمعات العربية
، غياب الحياة الديمقراطية، فإن هذه التكوينات وما تفرضه من مشاعر
ناهض حركة التطور الاجتماعي وتكبح جماح الحداثة بكل معانيها
ذه التكوينات بما تنطوي عليه من قيم عقلية ومعايير للوجود والتفكير
وم مختلف اتجاهات النهوض الحضاري والتكنولوجي، لأن القيم الطائفية
عاطلية تصيب حركة النهوض الحضاري بمقتل، وتخل بكل إمكانات النقلة
نة، وتشكل عامل هدم للتماسك الاجتماعي الممكن في المجتمعات العربية.

نختم به هذه الفقرة التي وردت في البيان الختامي الصادر عن المؤتمر
لمي الثاني الذي عقد في بيروت في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٩٧:
ة الإسلامية بكل قيمها ومقوماتها وتاريخها وتراثها وموروثها وكذلك ما
ة من حمل معرفي وقيم متنوعة عبر التاريخ، وما لها من فرادة وأصالة
ها من أصول، وما تعنيه وتستثيره في النفوس من قيم ومشاعر، هي
الوطن الذي نتجذر في أرضه ونحافظ فيه على هويتنا، وننمي فيه، بوعي
خصوصيتنا، ونمارس انطلاقاً من ذلك مثاقفة مع الآخر باعتزاز وثقة
ين كل قطرية وإقليمية وطائفية تفزّمنا او تقسمنا أو تشوه نظرتنا إلى
نحن في هذا السياق لا نضع العروبة مقابل الإسلام ولا الإسلام مقابل
تكاملان ولا ينفصلان، وننظر إلى كل تنازع في هذا الاتجاه على انه تنازع
يدمر ويخدم مخططات تعادي أمتنا وثقافتنا، ويرمي إلى فرض الضعف
[٤٤]. إن بناء مجتمع عربي معاصر يمتلك القدرة والاقتدار مهمة مستحيلة
الفكر العربي المعاصر أن يبلور صيغة انتماء جديدة عصرية قومية أو
على استيعاب الفئات الاجتماعية والطائفية والقبلية جميعها على امتداد

الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين «الكارثة أو الأمل»: التقرير التلخيصي لمشروع الوطن العربي، ص ٣٧.

للمثقفين العرب: برنامج عمل لمقاومة التطبيع» الفكر السياسي، السنة ١، العدد ١ (شتاء